سرنا على الأقدام عائدين إلى البيت ومن بعيد كانت إحدى سيارات الجيب العسكرية تقف ترقب الطلبة الخارجين من الجامعة، نظر إبراهيم نحوهم وقال: من كان يصدق أن غزة سيصبح بها جامعة بحق وحقيقة كما هي الآن؟ هل تذكر يا أحمد حين قررت التسجيل في الجامعة الإسلامية ماذا كان رد أمك؟ هززت رأسي بالإيجاب. توقفت على الجانب الآخر من الطريق سيارة فيها عدد من نشطاء الكتلة الإسلامية أصدقاء إبراهيم، ونادوا عليه ذهب تحدثوا ببضع كلمات ثم عاد إلي وناولني كتبه قائلاً: خذها معك، سأذهب مع الشباب في مشوار وقد أتأخر فطمئن الحكومة.

ابتسمت وتناولت حافظة أوراقه وكتبه وانطلقت أفكر في حكومتنا أي (أمي) وفي طريقة تعاملها مع إبراهيم وحبها له وحبه لها، وبدأت الصورة والذكريات تداعب خيالي، انتبهت على صوت بوق إحدى السيارات وقد كادت تصدمني حين تجاوزت طريقاً رئيسياً دون أن أنتبه. مع المفاجأة سقطت الكتب من يدي وتناثرت، انحنيت لأجمعها تحت ضوء المصباح الكهربائي على العامود الكهربائي عند زاوية الشارع، اختلطت كتبي وكراساتي وأوراقي بكتب وكراسات وأوراق إبراهيم، فحاولت أن أتركز لأميزها وأعيد كلاً منها لمكانه.

استدعت انتباهي ورقة، ميزتها أنها من أوراق إبراهيم وبينما كنت أضعها بين أوراقه وقع نظري على سطر العنوان فيها...تقرير حول تحركات وممارسات "حسن الصالح" لم أتمكن من مقاومة الفضول للاطلاع على ما فيها، جمعت باقي الأوراق بسرعة، وأجزت لنفسي أن أقرأ ما كتب في ذلك التقرير الاستخباري المحكم الذي يحمله إبراهيم والموقع بأخوكم (٢٣) إذا فالأمور لدى إبراهيم وجماعته أكبر من العمل الطلابي، والتنافس الحزبي، والصلوات في المسجد.

تأخر إبراهيم في تلك الليلة بصورة ملفتة للنظر، قلقت أمي فطمأنتها بلسانه فقالت: قلبي يحدثني أن إبراهيم قد دخل طريقاً شائكاً وأخشى عواقبه، طمأنتها يا أمي إبراهيم واعٍ وكبير ولا تخافي عليه، وماذا يمكن أن يفعل؟ وما الخطر الذي سيكون عليه؟ قالت: قلبي يحدثني بذلك، قلت: لا تصدقي قلبك، هذا من الشيطان يحاول أن يقلقك، قالت: قلب الأم لا يخطئ يا أحمد، نظرت إليها فإذا الدموع تترقرق في عينها، وكأنها أدركت استغرابي، فقالت: إنه ابني مثلك تماماً، ألم أربه منذ طفولته.